اغتراب المُثُل في الشعر العباسي

د . موسى كراد

المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف - ميلة

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن ظاهرة الاغتراب في المتن الشعري في العصر العباسي، حيث ظهر في تجارب بعضهم اغتراب اجتماعي مؤلم تمثل في اغتراب المُثُل (المبادئ والقيم) حين يحس أحدهم أنه متميز فاضل عن غيره، وأن غايته إصلاح مجتمعه وأمته، لكنه لا يستطيع أن يتواءم مع الواقع المعاش، فنتج عن ذلك إحساسهم بالعجز والإحباط والفشل حين عجز عن مجاراة عصره ومجتمعه فحقد على الناس ونفّس عن نفسه بالسخرية منهم والحط من قيمتهم.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب؛ المُثل؛ الشعر العباسي؛ المعري؛ دعبل الخزاعي.

Abstract

This paper seeks to reveal the phenomenon of alienation in the poetic text of the Abbasid period, where the output of some of them is something of the alienation of ideals (principles and values) when one feels that he is distinguished and virtuous and that his purpose is to reform his society and his nation, but he can not adapt to the reality of the pension, This resulted in their sense of helplessness, frustration and failure when he was unable to keep up with his time and society. He criticized the people and the self for ridicule them and devalued them.

Keywords: Alienation; ideals; Abbasid poetry; al-Ma'ari;

توطئة:

شكّل الشعور بالاغتراب في العصر العباسي أحد أهم المظاهر الاجتماعية التي عانى منها المجتمع في العصر العباسي، حيث كان له التأثير البالغ على نفسية وحياة المجتمع العباسي عامة وعلى شعراءه خاصة، فتجسد خلال تجاربهم الأدبية والإبداعية، وكان ما شهده المجتمع والعصر من تحولات سياسية واجتماعية الأثر البالغ في تعميق غربتهم واغترابهم، ... مما أدى بهم إلى العزلة والانسحاب من الحياة الاجتماعية، والسياسية والثقافية. وقد اختلفت غربة واغتراب كل منهم بحسب الواقع الذي يعانيه.

فقد شهد العصر العباسي كثيراً من المؤثرات السياسية الداخلية والخارجية، والتحولات الاجتماعية التي جعلت بعض الشعراء لا يستطيعون التأقلم مع الواقع الاجتماعي، فكثر الفساد وعم البؤس بعد أن تولى بعض المناصب غير أهلها، (تحكم العنصر الفارسي في مجريات الأمور ،والسلاجقة، وضعف سلطة الخلافة وتجزؤ الدولة إلى دويلات)، فأصبح العربي يشعر بالغربة والفشل والخذلان والانفصال عن ماضيه المجيد حينما كانت له السيادة.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على نوع من أنواع الاغتراب الاجتماعي الذي عاشه الشاعر العباسي وتأثر به وأثّر عليه بشكل كبير، إلى درجة جعلته ينعزل ويشعر بعدم الانتماء والاستلاب، إنه **اغتراب المُثُل**، إذ لعبت القيم الفاسدة وانقلاب الموازين وتفشي الآفات والعادات السيئة دورا كبيرا في إذكاء لهيب الاغتراب والانفصال عن المجتمع لديه، وقد شمل الاغتراب عن المجتمع مواضيع عديدة منها الاغتراب عن الناس الذين هم في نظره سبب المشاكل والآفات الاجتماعية لذا وجب مقاطعتهم والابتعاد عنهم قدر المستطاع، إضافة إلى الاغتراب عن القيم الظاهرة في المجتمع والتي تعكس فساده وانحلال أخلاق أهله وناسه.

سنقدم أولا نظرة حول مفاهيم الاغتراب ودلالاته، بعدها مباشرة سنأخذ لمحة عن الاغتراب وتجلياته في الشعر العربي القديم.

أولا/ مفهوم الاغتراب ودلالاته:

للاغتراب معانٍ ودلالات عديدة، تعكس طبيعة النظر إليه، والرؤيا الفنية له، فتتبع اللفظ في المعاجم العربية يشير إلى أنَّه مشتق من الفعل غَرَبَ، يغربُ، بمعنى غاب واختفى وتوارى وتنحى وبَعَدَ عن وطنه إذ جاء لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة عن الوطن، فقد أشار الفراهيدي إلى هذا المعنى بقوله: " الغربة: الاغتراب عن الوطن، وغرب فلان عنَّا أي تنحى وأغربته وغرَّبته، أي نحيته، الغربة النوى والبعد"[1].

ويؤكد هذا المعنى الجوهري، إذ يقول أن التغريب: النفي والإبعاد عن البلد مشيراً إلى الحديث النبوي الذي أمر بتغريب الزاني منه إذا لم يحصن[2]. وأشار ابن منظور إلى أن لفظ (الغرْب) بمعنى الذهاب والتخفي عن الناس، وترد الغربة والغرب بمعنى النوى والبعد، ويُقال غرَّب في الأرض إذا أمعن فيها، ورجل غريب ليس من القوم، والغريب الغامض من الكلام، وتبعه الزبيدي في تاجه[3].

إذن نجد أن لفظة الاغتراب تشير في أغلب معانيها إلى الغربة المكانية والابتعاد عن الوطن، إذ تشترك هذه الدلالة بجذر واحد هو (الانفصال عن) وبإرادة ذاتية أي حصول الانفصال برغبة الذاهب وإرادته،

أما في الاصطلاح فقد اعتبر معظم الدارسين أنّ ظاهرة الاغتراب إنسانية وُجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي كل الثقافات ولكن بدرجات متفاوتة، ذلك أنَّ الاغتراب قد يعني الانفصال وعدم الانتماء، ويُعرّف أيضاً بأَنَّه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق [4].

لكن على الرغم مما كتب عن ظاهرة الاغتراب، فإنّ تداخل التخصصات أدى إلى تضارب الآراء، والاتجاهات والميول، فالمصطلح مازال يكتنفه بعض الغموض، وربما كان ذلك أمراً طبيعياً شأنه شأنَ غيره من المصطلحات المثيرة، ومع هذا التباين، وذلك الغموض، وتلك الاختلافات في الرؤى وأساليب المعالجة، فإن أغلب تلك الجهود التي قيلت، نجدها تلتف حول أشياء معينة بالذات وتدور حولها، وتشير أغلبها إلى دخول عناصر معينة في مفهوم الاغتراب مثل (الانعزال) و(الوحدة) و(الغربة) و(الانفصال) و(الانخلاع) و(التخلي) و(الانتقال) و(التجنب) و(الابتعاد) والانسلاخ عن المجتمع، والعجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل أيضاً انعدام الشعور بمغزى الحياة [5]. إذ أنَّ هذه الظاهرة تختلف من إنسان لآخر تبعاً لطبيعة تلك الشخصية، وحجم معاناته النفسية، فضلاً عن طبيعة علاقته بمن حوله، إذ يتميز كل إنسان بقدرة محددة ومعينة في توجهه لمعالجة المشاكل التي تواجهه والتي تختلف فيها درجات المعالجة واللامبالاة، إذ نلمس في هذا المصطلح تنافراً قائماً بين حال المرء، وما ينبغي أن يكون عليه[6].

قد حددّ عدد من الباحثين المحدثين دلالات الاغتراب ومضامينه والمتمثلة في العجز والاستسلام، والهراء، وفقدان المعنى، والتحلل من القواعد العامة المتبعة، أي ضعف الالتزام بالأعراف الاجتماعية المنظمة للسلوك، وكذلك الغربة الثقافية من خلال الشعور بالانفصال عن القيم السائدة في المجتمع، والعزلة الاجتماعية التي تعني الشعور بالوحدة والانفصال، وقطع العلائق الاجتماعية، فضلاً عن الغربة الذاتية التي تمثل القضية الجوهرية، إذ أنها تشير من طرف آخر إلى أن الفرد لم يعد يملك زمام ذاته [7]. وقد يتداخل المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ليعطيا

مفهوماً واحداً هو الابتعاد عن الناس بالجسم والفكر، فالاغتراب عاطفة قد تستولي على المرء ولاسيما الفنانين، الذين –ربما- يعيشون في قلق وضياع نتيجة شعورهم بالبعد عما يحلمون [8].

وقد شكّلت قضية الاغتراب أحد الروافد الهامة للفكر الإنساني، ومن مكونات الواقع الاجتماعي والنفسي والاقتصادي للفرد والمجتمع على السواء. وهي قضية وإشكالية لا يخلو منها أي عمل فني أو أدبي، يعبر عن الإنسان البدائي والمعاصر وإحساسه بالتمزق والضياع واللانتماء والقهر والاستلاب.

فلقد تعرض الإنسان – تاريخياً - لحالات اغتصاب، وقهر، واعتداء، وتشويه، ومسَّت شخصيته الإنسانية، فبدت عليه مشاعر البؤس والشقاء والاغتراب، فضلاً عن العقد النفسية مما يعني " أن مفهوم الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للإنسان، حيث يفقد مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والاستمرارية" [9]. عبر كامل أطوار حياته.

ثانيا/ لمحة عن الاغتراب في الشعر العربي:

لقد عرف الإنسان العربي الغربة والاغتراب، حيث عاش حياته متنقلا من مكان إلى آخر باحثا عن مواطن الكلأ والماء فألفت قدماه التّنقل ولكن قلبه بقي معّلقا دائما بأول منزل ،فوقف على أطلاله وجعلها رمزا لاغترابه النفسي والعاطفي، وخلق لخطابه الشعري مشاركا افتراضيا حتى يشاركه غربته وليتسنى له الإفصاح عن ما في نفسه من مشاعر الأسى والحسرة ، وهاهو" امرؤ القيس "يخاطب قبرا أمامه جمعته به الغربة المكانية فهو في جبل عسيب بعد أن انفطر قلبه على موت أبيه وانكسر خاطره لانعدام المعين:

أَجارتَنـــا إِنَّـــا غَرِيبـــانِ هاهنَـــــا وكُـــل غَرِيـــبٍ لِلغرِيـــبِ نَســـيب

وَلـــيس غرِيبـــا مـــن تَنَـــاءتْ ديـــاره وَلكـــن مـــن وارى التُّـــراب غَرِيـــب"[10]

فهنا هو يرى أن الغريب ليس من بعد عن الوطن ولكن الغريب من تخّلى عنه القريب ، وغدر به البعيد وسكن اللّحد ولم يجد عنه محيدا.

كما لم يغب الاغتراب بأنواعه الأخرى عن شعراء **العصر الجاهلي** ، فهاهم الشعراء الصعاليك يبتعدون عن قبائلهم بعد أن استحال عليهم العيش معهم، فجعلوا من الصحراء القاحلة موطنا لهم ومن الوحوش بديلا عن أهاليهم يقول الشنفرى:

" أَقيمـــوا بنـي أُمـي صـــدور مطـيكم فَـــإِنّي إِلـى أَهـــلٍ ســـواكُم لَأَميـــلُ"[11]

فهو يفضل التشرد في الصحراء على البقاء في هامش مجتمع عنصري يسوده الظلم والأنانية لا مكانة فيه إ لا لصاحب مال أو نسب.

ويأتي **الإسلام** فيجعل للمرء هدفا يزيح عنه الاغتراب النّفسي، ويحكم الأواصر بين أفراده فينتفي الاغتراب الاجتماعي، ويجعل للفقير حق في مال الغني يدفعه له بطيب خاطر فيبعد عنه الاغتراب الاقتصادي ، فتصبح النّفس مطمئنة راضية، ويزهد الشاعر الذي تحركه المشاعر في قول الشعر،

لكن سرعان ما يتغير حال المجتمع بعدما تقلبت أحوال البلاد وكثرت الصراعات وتنافس النّاس من أجل الدنيا الفانية، فعاد الشعراء ليعزفوا لحن اغترابهم بعدما خالجهم الشعور بالإقصاء و لا انتماء .ففي **العصر الأموي** يمثل" جرير "قمة الاغتراب الاقتصادي "فعلى الرغم من أن الشاعر كان من شعراء البلاط الأموي إلا أنه اكتوى بنار التجربة، وعانى من الاغتراب الاقتصادي الذي دفع به دفعا شديدا إلى اتخاذ الرحلة وسيلة ونمطا لمعالجة اغترابه[12] " ، فقصد الخلفاء واشتكى ضيق الحال وضياع العيال، فأمهم تنتظره لاطمة خدها لشدة ما تعانيه مع صغارها الجياع:

" أَشْكُو إِليك فاشكني ذُرية لَا يشبعون وأُمهم لَاَ تشْبع

رِشْني فَقد دخَلتْ عَلي خَصاصةٌ مِما جمعتَ وكُلَّ خَيرٍ تجمع[13]

فالشاعر لم يجِد بدا من أن يشكو حاله، فيمد يده مستجديا ليسد رمق عياله، وليس أشق على نفس الحر من أن يرى نفسه يتذلل من أجل لقمة،وهذا ما ينكأ جرحه النفسي أكثر.

ولا يمكن المرور على **العصر العباسي** دون الوقوف عند أبي العلاء المعري. فقد زادت ظلمة عينيه بزيادة اغتراب روحه، فصار لا يرى إلا ضلال النّاس وظلمهم:

رأَيتُ الحقَّ لُؤْلُؤَةً تَوارت يلج من ضَلَالِ النَّاسِ جم

وَقد يلْقَى الغرِيب عَلى من ولاه أَعز عليك منخَالٍ وعم[14]

ولا يشعر بغربة الغريب إلا من ذاق مرارة الغربة وعانى ألآمها، فصارت نفسه تبحث عمن يشاركها غربتها ويقاسمها لوعتها، وقد يجد غريب المكان من يواليه فيكون أعز من قرابته وأهله.

ولا اغتراب أصعب على نفس المؤمن من العيش تحت سطوة كافر يسلبه أرضه ويمنعه من أداء شعائر دينه. وظل الاغتراب بأنواعه المختلفة ملازما للشاعر صاحب الحس المرهف.

وتبقى ظاهرة الاغتراب سمة واضحة ترافق الشاعر العربي في كل العصور مؤكدة على شفافية إحساسه، ورقة مشاعره.

ثالثا / اغتراب المُثُل في الشعر العباسي: من خلال نماذج شعرية:

لقد عانى الشعراء في العصر العباسي من الاغتراب الاجتماعي بحدة، إذ لعبت فيه القيم الفاسدة وانقلاب الموازين وتفشي الآفات والعادات السيئة دورا كبيرا في إذكاء لهيب الاغتراب والانفصال عن المجتمع، وقد شمل الاغتراب عن المحتمع مواضيع عديدة منها الاغتراب عن الناس الذين هم في نظره سبب المشاكل والآفات الاجتماعية لذا وجب مقاطعتهم والابتعاد عنهم قدر المستطاع، إضافة إلى الاغتراب عن القيم الظاهرة في المجتمع والتي تعكس فساده وانحلال أخلاق أهله وناسه.

فعندما يحس الفرد ببعده عن الناس من حوله، وعندما يصعب عليه التواؤم مع مجتمعه والعالم المحيط به، فإنه يعيش حالة الاغتراب التي تهدد ذات الفرد مثلما تهدد النسيج الاجتماعي، وتؤدي إلى تصدعه وانشقاقه، فلاغتراب هو " شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السيئة في المجتمع أو عن السلطة السياسية "[15]. فقد المجتمع العباسي عرضة لانتشار هذه الظاهرة بشكل كبير، واستطاع الشعراء أن يرصدوا من خلال أشعارهم الاغتراب بمختلف أشكاله وأنماطه. حيث عبّر الاغتراب الاجتماعي عن الواقع العباسي بكل ما حمله من تناقضات واختلافات واختلالات، فكان الشاعر العباسي مغتربا عن القيم الاجتماعية[16]؛ ونعني به الاغتراب الاجتماعي، وينطوي تحته جانبان هما[17]:

- الاغتراب عن قيم المجتمع وما يصحب ذلك " من إحساس بالألم والحسرة أو بالتشاؤم واليأس، وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة " [18].
- الاغتراب عن الآخرين والانفصال عنهم.

فاغتراب القيم والمبادئ في العصر العباسي، عصر المتغيرات، وملتقى الحضارات، وموطن أجناس متباينة، طغت فيه سلطة المال، وهدرت فيه أبواق الملذات، وعلا فيه صوت الشهوة، فرخصت القيم وانقلب كثير من المفاهيم رأسا على عقب، وأحس العقلاء بانفصالهم القيمي وغربتهم العميقة، وشعروا بأنهم موجودون في زمـن غير زمنهم، وفي عصر لم يتهيـؤوا له. من هنـا شعر " الكثيرون بالاغتراب نتيجة حسهم التاريخي بضياع كثير من القيم السلفية التي ألفوها

وتأثروا بها... وبديهي أن الأفراد المتمسكين بهذه الأمور التي تحذف أو تستبدل يشعرون بالحزن لفقدانها "[19]

والبحتري واحد من هؤلاء الذين صدمتهم الحياة بمتغيراتها، ولم يستوعبهم مجتمعهم بنقائضه ولا أوطانهم ذات القيم المعكوسة:

ولـو أنصـفتني سـرا مـن راء لـم أكـن إلـى العـيس، مـن إبطانهـا أتظلـم

لقـد خـاب فيهـا جاهـد، وهـو نـاطق وأعطـي منهـا وادع وهـو مفحـم[20]

ويرى البحتري تلك المفارقات العجيبة، إذ ساد الغدر وقلّ الوفاء، وأهدرت قيمة ذوي العقول النيّرة، وكسدت بضاعتهم الثمينة، وتعلق الناس بأرباب الجهل، وتنصب ذوي الهمم الدنيئة في هذا العصر المضطرب:

أضـن أخـلاء، وضـن أحبـة فـلا خلـة تصـفى، ولا خلـة تجـدي

أيـذهب هـذا الـدهر لـم يـر موضـعي ولـم يـدر مـا مقـدار حلي ولا مقعـدي

ويكسـد مثلـي، وهـو تـاجر سـؤدد هلكـن ثمينـات المكـارم والمجـد[21]

في هذه الظروف والقيم المنقلبة والتي جعلت المغفلين الكبار سادة أثرياء أثارت حفيظة الشعراء المغتربين، فنددوا بهذه الأوضاع الغريبة، وارتفعت أصواتهم المقهورة، وسخروا من هذه التناقضات التي لم يطيقوا السكوت عليها، من هؤلاء ابن المعتز الذي بكى حرقة ومرارة يقول:

كـن جـاهلا أو فتجاهـل تفـز للجهـل في ذا الـدهر جـاه عـريض

والفضـل محـروم يـرى مـا يـرى كمـا يـرى الـوارث عـين المـريض[22]

نجد أيضا دعبل الخزاعي الذي استفرغ الكثير من أشعاره في محاربة الفساد السياسي، والخلل الاجتماعي، وقد أحزنه ما رآه من اضطراب في الأعراف، واختلاف في الموازين، يقول شاكيا متألما:

مـــا أعجـــب الـــدهر فـي تصـــرفه والـــــدهر لا تنقضـــــي عجائبـــــه

فكـــم رأينـــا فـي الـــدهر مـــن أســـد بالـــــت علـــى رأســـــه ثعالبـــــه[23]

" وأكثر ما أثار غضب الشعراء وسخطهم، ذلك الانحراف الذي رفع من قيمة الحمق والغباء، ليحط من قيمة العقل و العلم والأدب والفضل "[24]، ولم تعد قيمة الإنسان في جوهره ومثله العليا، بل صار المال يرتب مقامات الناس على قدر ما يملكونه. كذلك يمكن أن نعتبر غربة أبو العلاء المعري غربة قيم ومبادئ، فهو يرى أن مصدر غربته هو علمه و جهل الناس، إذ يقول:

ويقول كذلك:

قـــد كثـــرت فـــي الأرض جهالنـــا والعاقـــل الحـــازم فينـــا غريـــب[25]

والمعنى نفسه عبّر عنه شاعر عانى اغتراب القيم واختلال المبادئ، وهو المتنبي حيث يقول:

وهكـذا كنـت في أهلـي وفـي وطنـي إن النّفـيس غريـب حيـث مـا كـان[26]

ومن أبعد الأصوات العباسية صدى تنديدا بضياع القيم واختلال الموازين الاجتماعية (ابن الرومي)، الذي احتج على انحراف وشذوذ مجتمعه، وسخر سخرية مرة منه. لأنه حارب النبلاء وجابه العقلاء، وسالم الحمقى و الجهلة يقول:

والفلـــس رب يخـــر الســـاجدون لـــه و المـــال منصـــرف عنـــه و مصـــروف[27]

ويجهده اغترابه في زمن ارتفع فيه الأغبياء والأوغاد، وهان فيه الشرفاء والكرام، وأصبح يتكلم فيه الرويبضة، يقول:

رأيـــت الـــدهر يرفـــع كـــل وغـــد و يخفـــض كـــل ذي قـــيم شـــريفة

كمثـــل البحـــر يغـــرق فيـــه حـــي و لا ينفـــك تطفـــو منـــه جيفـــة

كـــــذلك دأبـــــه فينـــــا و إنـــــا على مـــا كـــان فـي حصـــن منيفـــة[28]

ومما زاد من اغتراب المعري تلك السلطة الدينية التي كان من المفروض والمتوقع أن تكون في قمة الأخلاق والقدوة والمثالية، لكن الذي حدث عكس ذلك، فدعا الناس إلى التنبه لمكرهم وفسادهم حتى لا يقع في شراكهم، فهم جماعة من الفاسدين والطامعين في السلطة فقط، ليس لهم من الدين إلا الاسم، والذين عندهم مصيدة يصطادون الناس.

لقد آلم المعري ما جرى في هذا المجتمع من طرف أهل الدين من مخالفتهم لتعاليم الدين واستعمالهم النفاق والرياء، إضافة إلى كل الأحداث والنزاعات التي كانت تقع بين الحين والآخر مما ساعد على ترك آثار وخيمة على نفسية المعري، وهذا ما جعله يحس بالانفصال عنهم والابتعاد يقول:

غـــدا أهـــل الشـــرائع فـي اختـــلاف تقـــض بـــه المضـــاجع والمهـــود

فقـــد كـــذبت علـــى عيســـى النصـــارى كمـــا كـــذبت علـــى موســـى اليهـــود[29]

ويقول في موضع آخر:

توهمـــت يـــا مغـــرور أنـــك ديـــن علـــيّ يمـــين الله مالـــك ديـــن

تســـير إلـــى البيـــت الحـــرام تنســـكا ويشـــكوك جـــار بـــائس وخديـــن[30]

فهو هنا يشعر بالغربة والنفور والاشمئزاز من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم على الأمة وتعاليم الدين فجناياتهم كبيرة، وهم أحق من غيرهم بالسخط والذم لمخالفة الدين وكذا لنفاقهم الاجتماعي.

وسبب تعاسة واغتراب وغضب ابن الرومي أنه لم يشعر بالتكافؤ الاجتماعي فهو ينعي " العالة الاجتماعية، وبؤسه ومصيره في مجتمع لا يأخذ بحق الجدارة بل بالاغتصاب الذي يقوم على الاحتيال والتملق والكذب "[31]، يقول:

نحـــن أحيـــاء علـــى الأرض و قـــد خســـف الـــدهر بنـــا ثـــم خســـف

أصـــبح الســـافل منـــا عاليـــا وهـــوى أهـــل المعـــالي و الشـــرف

يســـفل النـــاس، ويعلـــو معشـــر قـــارنوا الأقـــراف مـــن كـــل طـــرف

ولعمـــــــــري، إن تأمنـــــــــاهم مـا علـوا لكـن طفـوا مثـل الجيـف[32]

ولعل إحساسه الشديد بضياع القيم، وسيادة غير الأكفاء حمله ما لا يحتمل، فتفجر حقدا وغيظا، ورأى التفاوت الكبير بين نيل من لا يستحق وحرمان من يستحق في عالمه المنكوس، وفي بائيته الشهيرة صوّر لنا نفسه ومجتمعه، واختلال القيم بأدق تصوير ذلك الخلل الاجتماعي، يقول:

طـــار قـــوم بخفـــة الـــوزن حتـــى لحقـــوا رفعـــة بقـــاق العقـــاب

ورســـا الراجحـــون مـــن جلـــة النـــا س رســـو الجبـــال ذات الهضـــاب

ولمـــــا ذاك للئـــــام بفخـــــر لا ، وذاك للكـــــــرام بعـــــــاب

هكـــذا الصـــخر راجـــح الـــوزن راس وكـــذلك الـــذر شـــائل الـــوزن هـــاب[33]

ففي هذه القصيدة ينعي حظوة بعض القوم خفيفي العقول، وغربة الراجحين من الناس، وانفصالهم عن قيم مجتمعهم لأن هؤلاء المترفين المتنعمين " ليس لديهم فضائل أو جدارة دونه، فيحقد ويتذمر إذ يرى أن حقه واستحقاقه (مغصوبان) إنه يضيع عمره سدى، بينما يتخم وينعم سواه، أولئك هم الحياة والواقع "[34]. فكأنه مأساته " مأساة الكفاءة التي لا تقدر، ولا تتحقق، مأساة الإنسان القادر العالم..[35].

وهكذا " اضطرب كل شيء في نظره اضطربت مقاييس الحياة واختل النظام، ولم يعد ينظر إلى الحياة إلا هذه النظرة السوداء البغيظة التي فيها خيوط فلسفته التشاؤمية "[36]

إذن فاغتراب ابن الرومي وغيره من الشعراء العباسيين اغتراب مبادئ ومثل، اغتراب فشل وإحباط، وتظل مشكلتهم مشكلة إنسان مفكر واع في عصر تكالب على الشهوة والمال، فمأساتهم

مأساة قيم معكوسة، وسوء تقدير في تقييم كفاءات الرجال، في زمن يحس فيه أن قيمة الإنسان في مركزه وثراه، لا في عبقريته واستحقاقه.

خاتمة:

نستنتج أنّ الشعراء العباسيين الذين اغتربوا اجتماعيا من خلال القيم والمبادئ والمثل نجد أنهم وجدوا صورا مختلفة في مجتمعهم تعكسها تصرفات الناس من حولهم كالجهل والظلم والفساد والانحلال الخلقي والشرك إضافة إلى نقص الثقة والفقر، اللذان سادا بدرجة كبيرة في المجتمع، كل هذه التصرفات والسلوكيات جعلت الشعراء يعتزلون المجتمع مخافة أن تلتصق بهم وتجعلهم منهم فهروبهم واضح من خلال أشعارهم.

فمن مؤشرات الاغتراب التمرد على الوضع القائم، والهروب والانشطار في الذات (عدم التوافق مع النفس)، وكذلك التحول من الهوية القبلية إلى الهوية الحضارية، يؤدي إلى تغييرات جذرية في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما أن الاغتراب ليس بالضرورة أن يكون عن البشر والمجتمعات، أو عن الذات، أو عن الكون، بل يكون أيضاً – عن معتقدات وأفكار وأخلاق المجتمع الذي ننتمي إليه.

الإحالات:

[1] الفراهيدي، كتاب العين، ، تحقيق: د. مهدي المخزومي،د. إبراهيم السامرائي 41/4.

[2] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 191/1، وينظر: سنن النسائي الكبرى للنسائي 257/4.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب، تاج العروس، الزبيدي، مادة غرب.

[4] ينظر: أحمد محمد الجرموزي، الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية، (أطروحة دكتوراه) ص25.

[5] ينظر: قيس النوري، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً (بحث) ص4.

[6] أحمد علي ابراهيم الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري –دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص: 08.

[7] ينظر: عبد القادر موسى حمادي المحمدي، الاغتراب في تراث صوفية الإسلام (أطروحة دكتوراه) ، ص16.

[8] ينظر: حافظ الشمري، الغربة والاغتراب في شعر نازك الملائكة، (بحث) م كلية الآداب، ص131.

[9] علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، عالم الفكر، العدد الثاني، أكتوبر، ديسمبر، 1998، ص: 47.

[10] امرؤ القيس، ديوان امرؤ ألقيس،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ضبطه وصححه :مصطفى عبد الشافي ،د ط، د ت، ص: 49

[11] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب للطباعة، القاهرة ، د ط ،د ت ،ص168 :

[12] فاطمة محمد حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ط1 : ، سنة 1997 : ،ص6 :

[13] جرير بن عطية بن حذيفة، الديوان ،تحقيق رمزي مكاوي ،المكتبة العصرية ،صيدا ، بيروت ،ط 1 :، سنة 1429 هـ ، .ص: 3.

[14] أبو العلاء المعري، ديوان أبو العلاء المعري ، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الكتب الجامعية،بيروت لبنان ، ط .01 :سنة20 :

[15] سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي (القرن الرابع الهجري) ، دار الينابيع، دمشق، 2000.، ص: 151.

[16] صغير غريب عبد الله العنزي، الاغتراب في العصر العباسي، حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 219.

[17] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[18] سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، ص: 151.

[19] قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، ص: 43.

[20] البحتري، الديوان، شرح و تعليق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414، 2/ 1077.

[21] البحتري، الديوان، 1/ 383.

[22] ابن المعتز، الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1407، ص: 292.

[23] دعبل الخزاعي، الديوان، شرح و تقديم: ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1417، ص: 193.

[24] سمير سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، ص: 175.

[25]المرجع نفسه، ص: 189.

[26] أبو الطيب المتنبي، الديوان، دار بيروت للكباعة و النشر، بيروت، 1983، ص: 182.

[27]ابن الرومي،الديوان، شرح و تعليق: عبد الأمير علي مهنا، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1411 ،ص: 4/ 213.

[28]المرجع نفسه، 231/4.

[29] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1 ،ص: 226.

[30] أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2 ،ص: 775 – 776

[31] عفيف عبد الرحمن، ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء، دار العلوم، الرياض، ص:197.

[32] ابن الرومي، الديوان، ص: 216.

[33]المرجع نفسه، 1/ 314 ما بعدها.

[34] إيليا سليم الحاوي، ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959، ص: 81.

[35]المرجع نفسه، ص: 82.

[36] طه حسين: أبو العلاء المعري ،حياته وشعره، دار النفس للنشر (د، ت، د ، ط)،، ص: 63.

المصادر والمراجع:

1- أحمد علي ابراهيم الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

2- أحمد محمد الجرموزي، الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية، (أطروحة دكتوراه) .

3- ابن الرومي،الديوان، شرح و تعليق: عبد الأمير علي مهنا، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1411 .

4- ابن المعتز، الديوان، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1407.

5- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مادة غرب،

6- أبو العلاء المعري، ديوان أبو العلاء المعري ، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الكتب الجامعية،بيروت لبنان ، ط .1.

7- أبو العلاء المعري، لزوم ما يلزم، دار صادر ، بيروت ، 1961.

8- أبو الطيب المتنبي، الديوان، دار بيروت للكباعة و النشر، بيروت، 1983.

9- امرؤ القيس، ديوان امرؤ ألقيس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ضبطه وصححه :مصطفى عبد الشافي ،د ط ، د ت.

10- إيليا سليم الحاوي، ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959.

11- البحتري، الديوان، شرح و تعليق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414.

12- جرير بن عطية بن حذيفة، الديوان ، تحقيق رمزي مكاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،ط 1 :، سنة 1429

13- حافظ الشمري، الغربة والاغتراب في شعر نازك الملائكة، (بحث) م كلية الآداب.

14- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية..

15- دعبل الخزاعي، الديوان، شرح و تقديم: ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1417.

16- سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي (القرن الرابع الهجري) ، دار الينابيع، دمشق، 2000
17- صغير غريب عبد الله العنزي، الاغتراب في العصر العباسي، حتى نهاية القرن الثالث الهجري.
18- طه حسين: أبو العلاء المعري ،حياته وشعره، دار النفس للنشر (د، ت، د ، ط).
19- عبد القادر موسى حمادي المحمدي، الاغتراب في تراث صوفية الإسلام (أطروحة دكتوراه).
20- عفيف عبد الرحمن، ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء، دار العلوم، الرياض.
21- علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، عالم الفكر، العدد الثاني، أكتوبر، ديسمبر، 1998،
22- فاطمة محمد حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ط1 : ، سنة 1997
23- الفراهيدي، كتاب العين، ، تحقيق: د. مهدي المخزومي،د. إبراهيم السامرائي .
24- قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا مفهوما و واقعا، مجلة عالم الفكر، العدد1، 1979.
25- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي (مرحلة الرواد) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999.
26- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب للطباعة، القاهرة ، د ط ،د ت .